

## بحث جديد

وأمضي معك أيها القارئ في حديثي الطويل، فأستأنف كلامي عن ثقافة الفرد المسلم، تلك التي ليس لها وجود في الوقت الراهن..

وكنت قد حدثتك أمس حديثا خاطفا عنها معن مضمونها والتزاماتها. وتحدثت عن الوسيلة التي تمكننا نحن المسلمين من بعث ثقافتنا. حتى يمكن أن نهض ومن ثم نصبح مثل غيرنا. نعيش في كنف العدل والحق والعمل!

والثقافة وحدة لا تتجزأ في هذا العالم. فإذا كانت مزدهرة في ركن ومندثرة في ركن آخر، اصبح من المحتم أن يساهم هذا في بعث ثقافة ذلك.

فكيف يكون ذلك!؟

في التاريخ.. تاريخ البشرية سجلت هذه الحقيقة فأصبحت قانونا لا يمكن نقضه.

ولنضرب مثلا من تاريخنا. نحن المسلمين، أيام أن كنا نهتدي برسالة محمد علي حقيقتها، وقبل أن تستبد الكهانة بنا، وقبل أن يفرض علينا تجار الدين الجمود والجوع والعري والمرض والجهل!! كان ذلك في مستهل القرن العاشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر، وتلك الفترة أطلق عليها المؤرخون في الشرق والغرب عصر العرب الزاهي..

وتحدث المؤرخون عن ذلك العصر فقالوا ان العرب كانوا وحدهم حملة مشاعل الثقافة في الدنيا كلها!

وفي ذلك العصر أقبل علماء العرب إقبالا عظيما وبدافع من العدل والحق السائدين في ربوعهم علي نبش تراث أثينا العظيم.

ذلك التراث الذي حاول الرومان دفنه في أعماق الأرض حقدا منهم وحسدا من حضارة الإغريق وفلسفتهم وعلومهم وقوانينهم.. حتى إذا تم انهيار الإمبراطورية الرومانية تحت أقدام برايرة الشمال بدأت حضارة الإغريق تبين وتتضح أمام العالم من جديد..

وكان للعرب إمبراطورية قائمة علي السخرة والعبودية والدم الأزرق النبيل الإلهي، كما كان حال الرومان.. بل كانت إمبراطورية العرب قائمة علي الحق والعدل والحرية، والأيمان بالإنسان!

من أجل هذا امن علماء العرب بالثقافة وعرفوا أنها الطريق الي التقدم، فترجموا كتب أرسطو وسقراط وأبو قراط.. فكان حنين ابن اسحق هو باعث فلسفة أرسطو وحكمته.. وترجم ابن الهيثم نظريات اقليدوس وارشميدس الي العربية.

وفي ذلك العصر المجيد الزاهي للعرب كانت السيادة الثقافية في العالم كله قد عقد لواؤها لبني العباس، فأنشأوا المكتبات والجامعات وامتألت تلك المكتبات بالعلوم والفلسفة والحكمة.. وشاع العلم وشاعت الفلسفة والأدب، ونشط العلماء العرب والفلاسفة العرب بعد ذلك الطوفان الثقافي في البحث والمعرفة..

كانت ثقافة أثينا قد مهدت لهم الطريق فسجل التاريخ لهم صفحات مجيدة كان لها دورها الحاسم في تطور البشرية وقفزتها الي النور.. سجل التاريخ للطبيب الفيلسوف ابن سينا ما قدمه للإنسانية من معرفة بعد أن ترجم كتابه "القانون" الي جميع اللغات الحية ويدرس هذا الكتاب الآن في جامعات أوروبا..

وسجل التاريخ " للرازي " أنه أول طبيب اكتشف عدوي الأمراض وأول من عرف مرضي الحصبة والجدي، ووصف أعراضهما!!

وسجل التاريخ لابن رشد ما قدمه للإنسانية من فلسفة أضاءت لها الطريق.. ثم أخيرا كان لابن خلدون نصيب كبير في هداية فلاسفة أوروبا الي علم الاجتماع.. وقد أطلقوا عليه لقب العالم الاجتماعي الأول، فأن علماء الفلسفة والاجتماع في عصر النهضة بأوروبا لم يجدوا مرجعا لأبحاثهم وفلسفتهم أفضل من مقدمة ابن خلدون!!

وكما حدد ابن خلدون لعلماء أوروبا وفلاستها الطريق في عصر النهضة فعل " ابن النفيس " أيضا نفس الشيء لأطباء أوروبا!"

فابن نفيس العربي هو أول من وصف الدورة الدموية وسبق في ذلك سرفينوس بثلاثمائة سنة، وكان بحث ابن نفيس هو الذي اهتدي به " هارفي " عندما وضع كتابة عن الدورة الدموية كما اعترف هو نفسه بذلك!

وعلي هدي هذا البحث عن الدورة الدموية تقدم الطب وتم إنقاذ البشر من كثير من الأمراض التي كانت تفتك بهم!!

كان العرب، آذن، يعيشون – بلا كهانة – حياة رائعة متقدمة.. وكانوا – بلا كهانة – يحملون المشاعر لهداية العالم كله الي مستقبله الذي يتحتم أن يزدهر بالعلم والمعرفة وبالآداب والفن.

كانوا – بلا كهانة – يؤمنون بالثقافة، ينبشونها حينما كانت، ويطورونها في وعي عظيم وأيمان بالحق، حق البشرية جمعاء في الحرية والعدل والعمل.. لم يعتصبوا لانهم فهموا رسالة نبيهم محمد فهما عميقا ومتطورا، لم يزوروا الحضارات التي سبقتهم بل انطلقوا يدروسنها ويبحثون عن مصادرها ثم ينقلونها في إماتة الي البشر جميعا، بغض النظر عن مذاهبهم ودياناتهم.. تلك كانت رسالة محمد العظيم المناضل الثائر المتحرر المتقدم.!

الرسالة التي يريد تجار الدين أن يزورونها تزويرا يوقف تقدم ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ويجعل منهم أمة تضحك من جهلها الأمم!

ونعود الي الثقافة.. حديث الأمس واليوم فأقول أن عصر الغرب الزاهي عندما لم تكن هناك كهانة او كهنوت تمخض عن علم كثير وادب كثير وفلسفة كبري، وكانت ثقافة العرب مستمدة من حضارتهم ومن أبحاثهم في تراث أثينا وفارس والهند.. أقول كانت تلك الثقافة هي الأساس الذي بنيت عليه حضارة أوربا في هذا القرن العشرين!!

وكما قلت أمس أن الثقافة وحدة لا تتجزأ فقد كان لابد في عصر النهضة في أوربا، من القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر، أن يقبل علماء وفلاسفة وأدباء أوربا علي التراث العربي وهم في سبيل خلق ثقافة الإنسان هناك!

وفي إيطاليا عكف الرهبان المثقفون علي ترجمة ما نقل من كتب العرب وتراجمهم، وكانت تلك الكتب تمتلئ بها المكتبة الملكية في قرطبة ودار الحكمة في بغداد، فقام الراهب قسطنطين وهو حبيس في دير كاسينو في ايطاليا بترجمة مؤلفات العرب في الفلسفة والعلوم والأدب والاجتماع والفلك من العربية الي اللاتينية ثم قام ذلك الراهب الواعي بأعظم عمل في تاريخ عصر النهضة الأوروبية عندما نقل مؤلف علي بن عباس المجوسي.. ثم قام رهبان آخرون في دير كاسينو بترجمة كتب ابن سينا وكتاب " الحاوي " للرازي ومؤلفات ابن الخطيب في الشعر والأدب والسياسة.

كانت إيطاليا وصقلية هما الجسر الذي عبرته ثقافة العرب من شمال أفريقيا الي القارة الأوروبية.. وهكذا صنع العرب حضارة أوربا.. وبعثوها في عصور الإقطاع والظلام والسخررة والجهل والأوبئة.. العصور الوسطى الرهيبة.

ساهم أجدادنا في تحرير أوربا من الكهنوت.. ثم وقعنا نحن الأحفاد في شراكة فعانينا ما عانته الملايين في القرون الوسطى.. أصبحنا مرضي ومسخرين وجاهلة وجياعا وعراة، وليس في حياتنا سوي المأساة..

اصبح أحفاد حملة المشاعل اشبة بجثث هامدة ترقد في قبور تسمي ببلاد المسلمين.

أصبحنا نحن المسلمين موتي لأننا لا نملك ثقافة.

استغفر الله.. بل نملك لكن الكهانة أخفتها عنا..

عندما فرض علينا تجار الدين التعصب والجمود والخضوع ترجعيتهم.. لم نجد عدلا نبحت في كنفه عن العلم.. ولم نجد حقا يعاوننا في تحطيم أغلال الكهانة لننطلق مع البشر جميعا في ركبهم المندفع نحو الحياة.. ولم نجد حرية تبعث فينا الرغبة في البحث والتأمل والحق والعمل.

وكمان قلت أن الثقافة وحدة في هذا العالم لا تتجزأ، كان حتما أذن أن نبحت وندرس ثقافة غيرنا مثلما فعل أجدادنا حملة المشاعل في عصرهم الزاهي، لكي نتمكن من خلق ثقافة للفرد

المسلم.. وفي العالم الآخر – ولا الجنة – توجد ثقافة. وذلك العالم لم يسمح لنا بالتزود منها بل حجبها عنا وارتكب في حقنا – بعدما رأينا حالنا – جريمة بشعة..

وساعده في ارتكاب تلك الجريمة تجار الدين والمشعوذون.. ساعد هؤلاء – وهم منا – الغرب في البطش بنا بدلا من تثقيفنا مثلما فعل أجدادنا الكرماء العظام مع الغرب أيام جهلة وتأخره وانحلاله.

فأقيم ستار حديدي بين المسلمين وبين الثقافة العالمية والتي هي وحدة لا تتجزأ.

لماذا..؟!